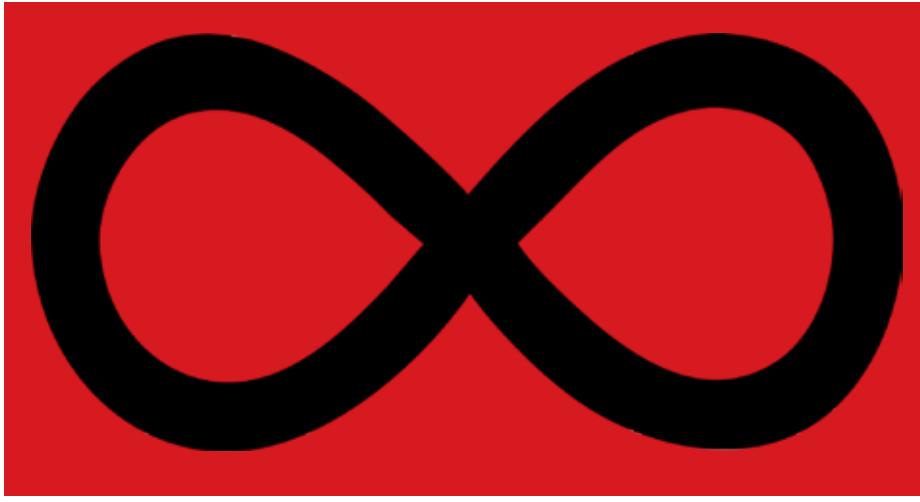


عن «اللجوء السوري» إلى لبنان وخصومات لبنانية مُستطردة



... وَمِنْ آيَاتِ
التَّاتَاةِ اللبْنَانِيَّةِ، —
والتَّاتَاةِ، بِالطَّبْعِ،
لَيْسَتْ وَقَفًا
على الجَمَاعَاتِ
اللبْنَانِيَّةِ، — مِنْ
آيَاتِ هَذِهِ التَّاتَاةِ
مَا يَشْجُرُ تَحْتَ

كما في سواها مِنْ الْمَسَائِلِ ذَاتِ الصَّلَةِ
بهذا «اللجوء»، وفي الطَّلِيعةِ مِنْهَا دَوْرُ
المُؤَسَّسَةِ العَسْكَرِيَّةِ فِي المُشَارَكَةِ فِي
تَدَبُّرِ هَذَا الِاسْتِحْقَاقِ، وَضَوَابِطِ هَذَا الدَّوْرِ،
بِ«العَمِيقِ» بَلْ بِ«الرَّاسِخِ»؛ وَمَتَى مَا نَزَلَ
الوَاحِدُ/ةُ عِنْدَ هَذَا التَّشْخِيصِ فَلَا غَرَوَ أَنْ
يُسَلِّمَهُ هَذَا التَّشْخِيصُ نَفْسَهُ إِلَى مَا هُوَ

أَنْظَارِنَا، وَعَلَى مَسَامِعِنَا، بَيْنَ «اللبْنَانِيِّينَ»
مِنْ أُمُورِ يُوحِي شِجَارُهُمْ فِيهَا بِأَنَّهُ
اسْتَطْرَادٌ عَلَى خُصُومَةٍ قَدِيمَةٍ وَليْسَ
خِلَافًا حَادِثًا وَابْنَ سَاعَتِهِ.

وبهذا المَعْنَى فَلَا مَبَالِغَةَ فِي وَصْفِ
مَا يَنْقَسِمُهُ اللبْنَانِيُّونَ، اليَوْمَ، عَلَى
أَنْفُسِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ «اللجوءِ السُّورِيِّ»،

أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: فَبِخِلَافِ رَأْيِ شَائِعٍ يُكْرِرُهُ
اللبنانيونَ على سَبِيلِ التَّجَامُلِ، لَا سَبَبَ
وَجِيهًا لِتَوَجُّسِ المخاوفِ مِنْ تَدَاعِيَاتِ
هذا الانقسامِ، وَمِمَّا قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ
مَفَاعِيلَ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا... ف«اللبنانيون»
بِشَهَادَةِ هذا الانقسامِ نَفْسِهِ، وَبِشَهَادَةِ
مَا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ انْقِسَامِهِمْ
هذا مِنْ مُفْرَدَاتٍ وَمِنْ مَفَاهِيمٍ وَمِنْ
عُنْفٍ لَفْظِيٍّ، يُؤَكِّدُونَ، فِي الْحَقِيقَةِ، أَنَّ
مَا سَبَقَ وَشَجَرَ بَيْنَهُمْ لِعُقُودِ خَلَّتْ مِنْ
شِجَارِ كَانَ مَوْضِعُهُ اللِّجْوَةَ الفِلَسْطِينِيَّ
لَمْ يُفِضْ بَعْدُ! بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، لَقَدْ دَخَلَ،
خِلَالَ الْعُقُودِ المَاضِيَةِ، مَا دَخَلَ عَلَى
ذَلِكَ «الزَّمَانِ الْأَوَّلِ» فَتَحَوَّلَ، وَدَخَلَ عَلَى
انْقِسَامِ اللبنانيينِ مَا دَخَلَ فَتَبَادَلُوا الْأَدْوَارَ
وَتَبَدَّلَتِ التَّحَالِفَاتُ بَيْنَهُمْ وَاخْتَلَطَتْ
«خَطُوطُ التَّمَاسِ». عَلَى أَنَّهُ فَإِنَّ انطباعًا
عَامًّا، لَا يَحْتَاجُ الْوَاحِدَ/الوَاحِدَةَ إِلَى كَبِيرِ
جُهْدٍ لِرُصْدِ شَوَاهِدِهِ، يُخَيِّمُ عَلَى لَبْنَانَ
بِأَنَّ افْتِرَاقَ مَا بَيْنَهُمْ فِي مَسْأَلَةِ اللِّجْوَةِ
السُّورِيَّ يُكْرِرُ، عَلَى نَحْوِ مَا، شَيْئًا سَبَقَ
لَهُمْ أَنْ خَاضُوا فِيهِ.

وَلأنَّهُ كَذَلِكَ، أَيْضًا وَأَيْضًا، فَلَا بَأْسَ، وَلَوْ
عَلَى سَبِيلِ السَّدَاجَةِ الطَّوْعِيَّةِ، مِنْ اتِّخَاذِ
الانقسامِ الجَارِي مُنَاسِبَةً لِلتَّأْمُلِ فِي
أَثْنَيْنِ مَعًا: فِي هذا الانقسامِ، فِي صُورِهِ

الْمُتَحَرِّكَةِ تَحْتَ أَنْظَارِنَا بِوَصْفِهِ عَيْنَةً عَنِ
«الاجتماع» اللبناي اليوم، وفي نَسْبِهِ مِنَّا.

•
على ما تَقَدَّمَ، لَيْسَ الْقَصْدُ مِنْ هذا
التَّأْمُلِ الرُّثَاءَ لِمَا نَحْنُ فِيهِ تَحْتَ عُنْوَانِ
:«مَا أَشْبَهَ الْيَوْمَ بِالْبَارِحَةِ»؛ فَالْيَوْمُ، حُكْمًا،
لَا يُشْبَهُ الْبَارِحَةَ، وَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الشَّبَهُ، مَتَى
مَا طُلِبَ، فِي اسْتِجَابَةِ لَبْنَانَ وَاللبنانيينِ —
وهي، فِي وَاقِعِ الْحَالِ، اسْتِجَابَاتٌ — لِمَا
اسْتَجَدَّ مِنْ أَمْرِهِمْ مَعَ وُفُودِ مِائَاتِ الْأَلْفِ
مِنَ السُّورِيِّينَ — مَنْ ابْتِغَاءَ السَّلَامَةِ وَمَنْ
عُنُوةً — مُلْتَمِسِينَ اللِّجْوَةَ إِلَى لَبْنَانَ.

مَطَّلَعَ عام ٢٠١٥ بِأَشْرَتِ الْحُكُومَةِ اللبنانيَّةِ
إِنْفَاذَ جُمْلَةِ تَدَابِيرٍ قَضَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ
اسْتِقْبَالِ لاجئينِ سُورِيِّينَ جُدُدًا. وَبِالْفِعْلِ،
فَلَقَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ التَّدَابِيرِ أَنْ خَفِضَتْ
مِنْ عَدَدِ السُّورِيِّينَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ، بِصُورَةٍ
شَرِيعِيَّةٍ، إِلَى الْأَرْضِ اللبنانيَّةِ. وَلَكِنْ،
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ المَرءُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا التَّخْفِيفِ
الْكَمِّيِّ فِي أَعْدَادِ الوَافِدِينَ أَنْ يَبْلُغَ أَهْلَ
الْحَلِّ وَالْعَقْدِ اللبنانيينِ رِيقَهُمْ، وَأَنْ يُوسَّعَ
لَهُمْ فِي المَجَالِ لِلْبَحْثِ، وَلَوْ عَلَى شَيْءٍ
مِنَ التَّأخُرِ، فِي رَسْمِ سِيَّاسَةِ لُجْوَةٍ يَلِيقُ
بِهَا أَنْ تُوصَفَ بِ«السِّيَّاسَةِ»، لَمْ تُفِضْ هَذِهِ
التَّدَابِيرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا.

تَطْرِيَّتِهَا أَنْ تُعِيدَ عَصَا سِحْرِيَّةً، أَوْ غَلِيظَةً،
اللاجئين السوريين إلى سوريا — (على
افتراض هذه العودة ميسورة)...

•

يُعْزَا الْقَوْلُ الَّذِي مَفَادُهُ أَنَّ التَّارِيخَ لَا
يُكْرَرُ نَفْسَهُ بَلْ يَتَأْتِيءُ إِلَى كَارل ماركس.
وإنْ تُفْهَمُ التَّأْتِءُ، إنْ صَحَّتْ نِسْبَةُ هَذَا
الْقَوْلِ إِلَى ماركس، عَلَى مَعْنَى الْمَخَاضِ
مِنَ الْوِلَادَةِ، (وَالْمَخَاضُ تَشْبِيهُ أَثِيرَ لَدَيْهِ)،
فَهِىَ أَصْعَبُ عَلَى التَّفْسِيرِ مَتَى مَا تَحَوَّلَتْ
مِنْ قَوْمٍ مَا — مِنَ الْجَمَاعَاتِ اللَّبْنَانِيَّةِ
مَثَلًا — لِسَانِهَا الَّذِي لَا تُحْسِنُ النُّطْقَ إِلَّا
بِهِ، وَثِقَافَتِهَا الَّتِي تَعْتَزُّ بِهَا وَتَفْتَخِرُ.

أَمَّا عَلَى أَوَاخِرِ تَشْرِينِ الْأَوَّلِ ٢٠١٦، فَفُتِحَ
أَخِيرًا، بَعْدَ فَرَاغِ مَدِيدِ، عَلَى مَجْلِسِ النَّوَابِ
اللبناني وانتخب رئيسًا للجمهورية تلا
انتخابه تأليف حكومة ضمت في عداد
وزرائها، لأول مرة في تاريخ لبنان وزارة
دولة لـ «شؤون النازحين». وَحَيْثُ يَتَوَقَّعُ
المرءُ مِنْ وراءِ هَذِهِ الصَّخْوَةِ عَلَى مَحَلِّ
اللجوءِ مِنَ الشَّأْنِ اللَّبْنَانِيِّ الْعَامِّ إِقْرَارًا
بِمَا يُلْحُهُ أَنْ يَكُونَ لِلبْنَانِ سِيَاْسَةُ لُجُوءٍ
يَلِيْقُ بِهَا أَنْ تُوصَفَ بِـ«السِّيَاْسَةِ»، يُوَاْفِقُ
اِحْتِفَالِ حُكُومَةِ «اِسْتِعَاْدَةِ الثَّقَةِ» بِالشَّهْرِ
الثَّامِنِ عَلَى تَأْلِيْفِهَا، إِسْفَارًا، بَيْنَ اللَّبْنَانِيِّينَ
أَنْفُسِهِمْ، غَيْرُ مَسْبُوقٍ مُنْذُ نِهَايَةِ الْحَرْبِ
الْأَهْلِيَّةِ، عَنِ إِحْنٍ وَضَغَائِنٍ لَا يَنْفَعُ فِي